

أحلام مستغانمي والملايين



آمال موسى •

استمالته. ومن الخطأ في لحظات معينة أن نَفقد بوصلة قراءة الأشياء وكيفية التفاعل معها وفهمها الفهم المتوازن. طبعاً لكل مبدع نرجسيته حتى وإن أنكرها ظاهرياً وشفويًا وقد يكفر مبدع ما بالقارئ في لحظات معينة ويرى فيه سطحية لا يرتضيها، فينحاز منغلِقاً على نصه مترفعاً عن المتلقي وعن هاجس الجماهيرية مكتفياً بالقارئ الاستثنائي الذي يليق بنصه.

ولكن الذي لا يجب أن يغيب عن نفسية الأديب وفي اللحظات كافة أن الجماهيرية رغم كل أهميتها، فإنها غير مهمة وبالتالي لا مبرر لأي انزعاج من أي نجاح سواء كان بالمعنيين التجاري والجمالي أو بالمعنى التجاري دون سواه. فدور الأديب والمبدع بصفة عامة يتمثل أساساً في المفاجأة والإتيان بالجديد والأخذ بيد القارئ العادي ومحاولة إخراجهم من دائرة المداعبات اللطيفة إلى مناطق الحيرة والانخراط الطوعي في التفكير والتساؤل والمراجعة إلى حد التواطؤ. وإذ نذكر بهذه المبادئ الثابتة فلأن الكتابة فعل تأسيسي ومسؤولية وعمق وفي هذا السياق استحضر الشاعر الفائز بجائزة نوبل والكاتب ديرك الذي قال إنه هو الذي يفرض شروطه على القارئ وإنه ليس نادياً في مقهى الجمهور. نقول هذا الكلام ولا يخفى عنا أن للمبدع كل الحق في أن يكتب للقارئ الحلم كما يحق لمبدع آخر أن يتعاطى مع السواد الأعظم من القراء.

ولعل القارئ العربي يحتاج إلى كتاب كثر وعوالم أدبية مختلفة ومتضاربة في مجال الكتابة الإبداعية باعتبار أن المهم هو الإبداع نفسه وهناك من يصل إبداعه بسرعة البرق وهناك من يصل بعد وقت قد يطال أزمته.

والذي يجب أن لا ينسأه أي كاتب عربي شاعراً وروائياً ومفكراً هو أن معركته مع القارئ ورهانه تكمن في سبيل استمالته وليس مع كاتب آخر ناجح أو مع أحلام مستغانمي، التي شغلت القراء بكتاباتها وأغلب الظن أنها اليوم بفضل نجوميتها أكثر قدرة على السفر بالقارئ العربي إلى أسئلة أكثر حرقة وعبر جماليات أكثر دهشة.

• شاعرة وباحثة تونسية

عندما يتجاوز النجاح النقطة المعتادة، ويلبس ثوب الأسطورة تتهنز لدى البعض القدرة على الفهم والتمحيص والقراءة. فالنجاح الفائق والذي يفوق الخيال أحياناً، له سطوته ويدخل الكثير في حالة من «الصدمة» الإيجابية، تطل بدورها على الدهشة والانبهار الذي من فرط اتساعه، ترتبك الطريقة الرصينة في قراءة الأشياء والظواهر والصددمات. لقد برهنت أحلام مستغانمي ضيفة معرض تونس الدولي للكتاب في دورته الأخيرة على أنها نجمة لامعة في عالم الكتابة الروائية وأنها قادرة على أن تدخل في عملية منافسة شريفة مع نجوم الفن وأن لها من القراء المعجبين بما قد يفوق القدرة على العد. وهي براهين سبق وأن أكدت مؤشرات أخرى من أهمها أن مبيعات كتبها بالملايين وهو مؤشر مادي قوي يُبويء أحلام مستغانمي تجارياً المرتبة الأولى في مجال الأدب العربي الزاهن. ومما لا شك فيه أنه في زمن القحط بالنسبة إلى القراءة في العالم العربي، فإن ما فعلته أحلام مستغانمي يُعد وفق المعايير الموضوعية والواقعية، معجزة تحسب في رصيدها، بل إن مزيد التوغل في إسداء هذه الكتابة حقها، يفرض علينا الاعتراف لها بأنها من المناضلين المباشرين وغير المباشرين في تحقيق مصالحة القارئ العربي مع فعل القراءة تلك التي قال عنها عباس محمود العقاد إنها تضيف إلى عمر الإنسان أعماراً أخرى.

إذن نجاح أحلام مستغانمي كنجمة في عالم الأدب حقيقة لا يشوبها شك أو شائبة وهي حقيقة تستدعي من الأدباء كافة التعاطي معها بمحبة وحكمة وقدرة على التمييز أيضاً. ذلك أن تحقيق أعلى المبيعات مقياس دماغ ولكنه في الآن نفسه مقياس لا معنى له. فالكتابة خيارات وطرائق ومن أجل مصالحة القارئ العربي مع لغته ومع الكتاب والقراءة بوصفها جوهر المعرفة، فنحن في حاجة إلى تلك الكتابة العاطفية الراقية التي تدغدغ القارئ وتستجيب إلى بنيته النفسية التحتية وأيضاً في أمس الحاجة وأوكدها إلى كتابات أخرى تستجلي المسكوت عنه وتؤسس لذهنية جديدة ولمجتمعات مختلفة وتسير عكس انظارات القارئ وتوقعاته وضد الطريق الأسهل إلى